# المرأة الحكيمة

« عماد لبيتها وتاج لرجليها »

كان جورج هو الشاب الوحيد الذي احبني لخلقي وادابي لا لذاتي او لمالي . فبادلته ذلك الحب دون بقية اقرانه الذين كانوا يحبون في ذاتي وهيكلي. وبعض هؤلاء لما كانوا يعرفون اني بلا مال يميلون عني باحثين عن فتاة « وارثة » اما حالاً واما مستقبلاً

هؤلاء بلا قلوب، ولا يجب ان يتزوجوا الا فتيات بلا قلوب نظيرهم. اما انا فكان كل مرادي ان اتزوج بشاب يحبني ويستحق محبتي فوجدته في شخص جورج ولذلك سلمته قلبي ومفاتيح فؤادي ؛ ولم يعارض والدانا في زواجنا فاصبحنا اسعد مخلوقين جمعهما سر الزيجة المقدس

كم كنت احب زوجي ؟ وكم كان يحبني ؟ هذه عاطفة لا يمكن للقلم او اللسان ان يعبر عنها . ولكن يمكن ان يشعر بها قلوب كل زوجين سعيدين نظيرنا

وكنت احب العمل وارغب عن الكسل فلم اترك ولا فرصة تمر بدون ان انتفع بها فكان يُسَرّ زوجي بذلك لانه كان يجد منزلنا دائماً مرتباً نظيفاً . ويتضاعف سروره لما كان يجد ملابسي دائماً نظيفة ومتقنة

وظل الهناء يخدمنا والسرور يحف بنا سبعة سنوات كاملة رزقت في اثنائها بطفلين لم يخلق الله على وجه البسيطة احبّ الي منهما

ربيتهما على مخافة الله والفضيلة فجنيت ثمار هذه التربية فيهما وهما طفلين فزاد ذلك في سعادتنا

هذه كانت حالتنا الزوجية في ايامنا الاولى وهي ايضاً حالتنا اليوم . ولكن تخلل هذين الزمنين خمس سنوات قاسيت فيها من العذاب والآلام بقدر ما حصلت في ايامنا الاولى من السعادة والهناء

وهكذا الدهر يعبث بنا . يوم لنا ويوم علينا

لم اجد في اخلاق جورج شائبة تشبه سوى كثرة مطامعه فكان دائماً يجتهد ان يحسن مركزه وينمي ثروته فلم يرجع بالخيبة ولكن تقدمه كان بطيئاً شأن كل مكسب حلال

وشعرت ان هذه الفكرة قد تجسمت فيه وكبرت في رأسه من يوم رأيته يمشي مع شاب اسمه حبيب اصبح ألزم له من خياله

ولم يمر شهر على هذه الصحبة الرديئة حتى اخذ جورج يتأخر في العودة الى المنزل من يوم الى آخر حتى اصبح لا يعود الا عند منتصف الليل او بعده فكنت انتظره كل ليلة على احر من الجمر وكلما استشعرت بوحدتي اسائل نفسي عن هذا التغيير الذي طرأ على جورج فلا اعرف له سبباً وشعرت ايضاً ان جيبه الذي كان دائماً مملوءاً بالدراهم اصبح خاوياً خاليا . بل ابتدأ في الوقت نفسه ان يأخذ مني شيئاً فشيئاً مما ادخرناه في ايام السعادة الاولى

واصبح قلقاً كثير الاهتمام اذا جلست الى جانبه احدثه في امر كان يصغى اليّ باذنيه فقط واما فكره فكان سائحاً في بحار تأملاته ومخيلاته . واحتدّ طبعه وضاق ذرعه وقلّ نومه واصبح سريع الغضب شديد المراس يحنق على الايام ويتهدد الدنيا بقبضة يده . ليس هذا فقط بل اصبح جورج امامي كرجل طحنته يد الايام فصيرته شيخاً وهو في عز صباه .

فانحنى ظهره وغارت عيناه في وجهه واصبح شديد الاصفرار مشغول الخاطر مبلبل الفكر كل ذلك ولم اعرف ما الذي يشغله ويكتمه عني مع انه لم يخفِ عني شيئاً قبل اليوم

كنت اسأله عن سبب هذا التغيير فكان يختلق لي اسباباً ويلتمس اعذاراً عرفت فيما بعد انها كلها كاذبة ومحض افتراء

حتى ذات يوم زارتني سيدة عرفت منها في عرض الحديث ان حبيب هذا الذي اكثر من المسير مع زوجي ما هو الا مقامر كبير

ويلاه ! تبينت لي الحقيقة بعينها . عرفت ان جورج اصبح مقامراً بفضل هذه العشرة الرديئة . فضربت كفاً على كف وعجبت كيف تسلط هذا الشيطان على فكره وجره الى هذه الهاوية المخربة المدمرة

ولما عاد زوجي هذه الليلة اطلعته على ما عرفت واعلنت له مخاوفي وما حذرته من انه يقامر فحاول في الاول ان ينكر ذلك ولكنه اقر بالحقيقة. وما امرّها . اعترف لي انهُ يقامر . اعترف لي انهُ يدمر صروح منزلنا ويخرب بيتنا ويذهب بنا الى حيث الفقر والفاقة وقال لي ان هذا الداء قد تمكن فيه حتى اصبح عضالاً ولكن ليتني لم احدثه في شيء من ذلك لانه بعد ان كان يقامر ولا يجسر ان يقول لي ذلك اصبح يقامر على علم مني

نصحته فلم ينتصح وردعته فلم يرتدع . عملت كل ما في الجهد لامنعه عن غيه ولكني لم افلح فسقطت في هوة من اليأس عميقة جداً

ازداد مركزنا خطارة لان جورج قد خاطر بكل ما جمعته ايام الرخاء في المضاربة والمقامرة . واخذ يصرف كل ماهيته في الاربع او الخمس ايام

الاولى من كل شهر ويتركني ولا مصروف في يدي ولا مال عندي لاصرف على الولدين وعلى المنزل ايضاً . ثم اخذ يستدين

فماذا اعمل ؟

طردت الخادم الذي كان عندنا لاننا اصبحنا عاجزين عن دفع اجرته

ثم اتى صاحب المنزل الذي كنا نقطنه يطلب اجرة المنزل فاخذت اعده واخلف واسوفه فيصبر حتى ذات يوم تهددنا بالحجز على الاثاث وطردنا من المنزل اذا لم ندفع له الاجرة

١ كنت في اوج النعيم فكيف اتحمل ان اصبح في اخطر درجات الجحيم . كنت سعيدة فاصبحت بائسة جداً . كنت ذات زوج فطرحني هذا الزوج الى الشقاء . فقلقت روحي ولم تعد تهدأ . ولزمتني الكروب ولم اعد اذق طعم الكرى !

هذه كانت حالتي فكم كان حال زوجي المسكين وهو اكثر مني ألماً من وخز ضميره الذي كان يعذبه في كل حين . ومع ذلك كان يصم اذانه عن عبارات النصح والارشاد

وكان جاك ابننا الاكبر قد بلغ العاشرة من عمره فلما عاد من المدرسة هذا اليوم قال لي ان الناظر انذره بالرفت اذا لم يدفع المصاريف

وكان صدري قد احتشد بدموع الحزن فلم اجد لها منفذاً الا من العينين فاجهشت في البكاء حتى علا شهيقي . فسألني جاك عن السبب فقلت له ما حدث من صاحب المنزل وافصحت له حالتنا تماماً بعد ان

كنت اخفي عنه ذلك وابالغ في كتمانه . فانطرح جاك بين ذراعي وقبلني قبلة حارة وقال لي والدموع ملء عينيه : « اني اتمنى اليوم الذي اقدر فيه على العمل يا اماه . واكسب فيه دراهم تكفينا شر هذا الضيق وتفرج ما نحن فيه من شدة . فلا تبكي يا امي »

ليس اشهى على الام من ان تجني ثمار التربية الصحيحة التي تربي عليها اولادها لان التربية الحسنة كالزرع الصالح يثمر ثلاثين وستين ومائة. فاي ام تسمع هذه الكلمات المفرحة ولا يطفح قلبها سروراً . ان هذه الكلمات دبت في نفسي روح حياة جديدة وآمال واسعة لانها انتشلتني من هوة اليأس العظيمة التي كنت استسلمت لها فصحوت من جمودي وثباتي لاعود الى الحركة والفكر والبحث عن استرداد كل ما فقدناه من اسباب سعادتنا

وقد حصرت كل افكاري في جاك بعد ان يئست من استرداد ابيه مما هو فيه : فقلت له « هذه حلى وجواهري ثمناً لتلك الجملة يا جاك . سأبيعها لاصرف عليك في المدرسة حتى اجني منك رجلاً اعول عليه في مستقبل ايامنا . هذه امالي حصرتها فيك فلا تخيب لي املاً .»

واصبح جاك عزاء قلبي الوحيد ومزيل همي ومفرج كربتي . وصرفت اليه كل اهتمامي وعنايتي . فكنت اساعده في دروسه واذكره بوعده فيزداد اجتهاداً واقول له اني احبه فيزداد بي تعلقاً

ولكن جورج لم يكن يساعدنا بشيء من الماهية بل كان في لهى عنا لا يفكر في شيء الا امسه وما خسره فيه وغده وما يؤمل ان يكسب فيه.

فقاربت جميع حليّ من الانتهاء ولم يتم جاك دروسه بعد ولم يكبر فيقدر على العمل فعاودتني الهموم والكرب

وعدت ففكرت في جورج وحاله ـ وقلت في نفسي ان طمع جورج في المكسب كطمعي في ارداعه عن المضاربة . كلاهما وهم لا حقيقة له ـ ولكن اذا كان جورج يخسر كل ليلة ولم ييأس بعد فلماذا أياس أنا من استرداده اليّ ؟

فاعترضت طريقه ذات ليلة وقلت له : « اعطني ولو جنيه واحد اشتري به بعض الملابس لولدينا واصرف منه على منزلنا ايضاً »

فقال ليس في جيبي سوى جنيه واحد وانا اؤمل ان اكسب هذه الليلة فاعود لك ومعي عشرات من الجنيهات

فقلت اني اريد هذا الجنيه الذي في جيبك ولست اريد العشرات التي في جيوب الغير . الى متى تخدع نفسك وتنتظر المكسب ؟ متى لعبت وكسبت ؟ ألم تلازمك الخسارة دائماً وابداً ؟

فقال لكني انتظر ان اكسب لان النحس الذي لزمني طول هذه المدة لا بد ان ينزح عني يوماً ما . وانا اؤمل ان ينزح عني هذه الليلة ويصادفني الحظ فاكسب . توسلت اليه ان لا يخرج فاصم اذناه عن توسلي وبكيت امامه بدموع غزيرة فلم يكترث بي بل افلت مني وخرج

والعجب كل العجب انه كان يعتقد كل ليلة انه سيكسب ولما يعود بالخيبة كان يجدد هذا الامل فيعود في الليلة التي بعدها ويضارب

واعيتني الحيل ولم أدرِ ما أفعل حتى كدت اياس مرة اخرى . ولكن

تذكري بجاك كان يشجعني ويحيي فيَّ امال كبيرة

ففي ذات مساء خرج كعادته يقامر وظل جاك يذاكر في دروسه حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل لانه كان موعد امتحاناته السنوية

ولاح لي بارق من الامل اذا انا سلكت مع جورج مسلكاً وعراً

اذا لم تكن غير الاسنة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها

فقمت ولبست ملابس عتيقة غير متقنة ولبست قبعتي وحذائي — فلما رأى جاك ذلك سألني : الى اين تذهبين يا اماه وتتركيني ؟ فقلت لست اتركك يا جاك ولكني سأقضي عند جارتنا روزا نصف ساعة حتى يعود والدك فاعود بعده حالاً . فقم انت وادخل الى سريرك ولكن لا تنم بل يجب ان تنتظرني . كما اني اطلب اليك ان لا تتحرك او تترك سريرك مهما حصل مني بل يجب ان تبقى على الحياد حتى اناديك . فبهت من كلامي وقال : على مَ عولت يا اماه . ماذا تريدين ان تعملي ؟ فقلت لا تخف ولا تقلق يا عزيزي وتأكد اني لا أعمل الا ما في صالحنا جميعاً . ثم قبلته من جبينه وادخلته الى سريره وهناك ضممته الى صدري بحنان زائد شعرت في اثنائها ان قلبه الصغير كان يدق بشدة ويختلج

ثم تناولت جرعة كبيرة من الكونياك وذهبت الى سكن « شقة » جارتنا روزا وكانت ما زالت صاحية وبقيت عندها حتى مر جورج من تحت نافذتها عائداً الى منزلنا . وبعد ربع ساعة قمت واستأذنتها وخرجت ولكني قبل ان ادخل الى المنزل اعوجت قبعتي كما اعوجت حزام فستاني نوعاً الى اليمين وثنيت رجلاي قليلاً وحملقت بعيني جداً كما ان الكاس

الكونياك الذي شربته قد حمرهما وحمر خدودي فاكيت السكران من كل الوجوه

ودخلت على زوجي وانا اتمايل في مشيتي ولما وجدته هناك يبحث عني رجعت الى الوراء قليلاً ثم غدت فتقدمت نحوه وضحكت ببله زائد حتى كدت استلقي على ظهري وقلت له بصوت متهدج متقطع :

هوّذا أنت يا چورج . قد عُدّت قبلي هذه الليلة ها ها ها

ثم ملت على طاولة فلطمتني ودفعتني الى مرآة بالقرب مني فنظرت اليها ثم اخذتني نوع من الدهشة وقلت :

إنن بُرْزز نطتي عايزه ثلاث ساعات لاصلحها . مسكينة انت ايتها البرنيطة . مسكينة مسكينة . ثم اخذت اغني بصوت عال .

وكان جورج ذاهلاً لما رآني كذلك وكأنه اصيب بشهم اعياه عن الكلام . ولكنه لما سمعني اغني هبّ من ذهوله وقال لي جانقاً : كفى كفى . اسكتي يا حنه . ما هذا الجنون ثم تقدم نحوي فشم رائحة فمي فتأكد له انى سكرانة . ثم هم بقبعتي ينتزعها من على رأسي فضحكت ثانياً وقلت له :

هوّذا انت تريد ان تصلحها من اجلي .....

فانتهرني وقطع عليّ كلامي وقال : كفى يا حنه كفى واخلعي هذه الملابس القذرة . اين كنت ؟

فقلت : اين كنت ؟ اين كنت ؟ وانت كنت فين ؟

ونظرت اليه ببله زائد ولم ازد بل اشغلت نفسي بخلع ملابسي وانا اضحك في نفسي من ادوار السكر التي كنت اشخصها بغاية الدقة والاتقان

ثم ما انتهيت من ذلك حتى كان جورج قد اشتد حنقه وكاد الشرر يتطاير من عينيه . ومع اني كنت اريد ان ازيد في الهزل والمجون ولكني خفت ان يخرج به الغضب الى حد الهمجية والجنون فيضربني ولذلك رأيت ان انكمش واذهب الى سريري خصوصاً وقد تحققت ان حيلتي نفعت واتت بالنتيجة التي كنت اتوقعها

ذلك ان جورج كان يغار عليَّ جداً وقد اعتقد مما رأى اني اخرج كل ليلة بعد ان يخرج هو فلدغت نار الغيرة قلبه لان الغيرة قارصة وقاسية والمحب غيور وكثير الشكوك

فكان جورج يقول في نفسه : هل هذه حنة التي كنت اعتقد انها ملاك هبط من العلاء ليشعل في قلب هذه العائلة البائسة نوراً وصلاحاً ؟ هل هذه حنة التي لم تقبل من يدي كاساً واحداً من الخمر تخرج من منزلها وتعود وهي سكرانة ؟ هل هذه حنة التي عرفتها من خمس سنوات كالحمل الوديع لا تخرج الا اذا كنت الى جانبها ؟ ولكن الحق والتبعة عليَّ انا لاني لم احرسها واسهر عليها بل اتركها واخرج كل ليلة . ولكن غداً سيكون لي معها شأن لما تفوق لانها الآن بعيدة عن صوابها

وفي الغد تأخرت في نومي قليلاً حتى صحي جاك من منامه فقبلته كعادتي واسررت اليه ان لا يخرج الى المدرسة قبل ان يخرج والده . ولم يشأ جورج ان يكلمني في شيء امام جاك فكظم غيظه وخرج دون ان ينبث ببنت شفة ولما عاد في المساء كان جاك قد عاد من المدرسة فلم يجد بدًّا من السكوت . واظهرت هذا المساء قلقاً واهتماماً واسراعاً في جميع

اعمالي المنزلية كمن يكون وراءه ميعاد . ثم اخرجت من دولابي فستاناً نظيفاً وتبعتي كمن يستعد للخروج

وكان جورج يعود كل مساء فيطلب طعام العشاء فكنت اتوانى في ذلك كثيراً واطلب اليه ان لا يخرج ولا اقدم له العشاء الا بعد ان تنفذ حيلتي منه . اما هذا المساء فاسرعت اليه بالطعام كأن لسان حالي يقول:

« اليك الطعام فكله بسرعة واخرج لاني اريد ان اخرج انا ايضاً وقد اعددت ملابسي فلا تدعني انتظر طويلاً »

وقد شاهد هو مني ذلك فكاد يجن وازداد قلبه غيرة ولم يطق ان يخرج وهو يراني استعد للخروج الى حيث لا يعلم

وظل بين عاملين قويين وازرين محرقتين الاول وهو القمار يدفعه للخروج للمضاربة والثاني وهو الغيرة تلزمه على البقاء ليحرس امرأته بعين لا تنام . وبمقدار ما يكون الحب شديداً تكون الغيرة قوية . ومحبة جورج لي كانت قوية جداً . بدرجة لا يمكن ان تعادلها حاسة ثانية او شعور آخر وأخيراً لم أره الا وقد قام وخلع ملابسه ولكنه ظل ساهراً يدخن سيجارته . فعرفت انه يريد ان يسألني اين كنت بالامس ولما كان لابد لي ان اجاوبه عن ذلك ان آجلاً وان عاجلاً ذهبت الى حيث كان جالساً . فقدم لي كرسي بالقرب منه وهو يحاول ان يكظم غيظه وقال لي :

ـ اين كنت بالامس

ـ كنت هنا

ـ ولكنك خرجت

ـ خرجت عند جارتنا روزا . وخنقتني العبرات وانحدرت من عيناي بكثرة فارتاح لبكائي وظن ان هذه الدموع هي دموع الندامة على الخروج بدون اذنه والسهر والشرب ايضاً . ولكنه لم يصدق اني كنت عند روزا وصمم ان يسمع مني الحقيقة فلم اجبه بغير البكاء فتركني وقام الى سريره غاضباً . وظل اسبوعاً كاملاً غاضباً مني مخاصماً اياي . لا يكلمني ولا يسمع مني . ولكنه لازم المنزل كل ليلة بعد عودته من العمل لان قلبه لم يرتاح وغيرته لم تهدأ . وسررت بذلك جداً وقلت اذا كان جورج ابطل المضاربة اسبوعاً فهو قادر على ابطالها دائماً

وكان جاك قد انتهت امتحاناته السنوية وتظهر النتيجة في الغد . ففي ظهر ذلك الغد عاد من المدرسة وهو يكاد يرقص من شدة الفرح وقبلني وقال لي انه كان اول الناجحين في فرقته وذلك بفضل عنايتي واهتمامي به . فسررت بذلك بمقدار محبتي لجاك وقبلته وشجعته . وقلت له هكذا يكون الاجتهاد يا جاك . ثم جلست الى الطاولة واخذت قرطاساً وقلماً وسطرت بعض السطور اعطيتها لجاك وقلت له : « احفظ هذه جيداً ولما يأتي ابوك هذا المساء اتلها عليه » فاجاب : « سأفعل يا امياه كل ما تشائين »

ثم سطرت ورقة اخرى اعطيتها لماري ابنتنا واوصيتها نفس الوصية فقالت « سأحفظها جيداً يا امي »

ولما عاد جورج في المساء جلس يدخن سيجارته كالعادة فاشرت للولدين اشارة فهماها فقاما وذهبا الى حيث كان ابوهما جالساً وتقدم جاك بدون تكلف وتعلق في عنق ابيه وقبله قبلة حارة وقال له بصوت طبيعي

عادي : «اني ازف اليك بشرى نجاحي الباهر في الامتحان يا والدي العزيز فانى كنت اول الناجحين في فرقتي . ولكن سروري بهذا النجاح لا يعادل السعادة التي تحف بي هذا المساء . لان الاولاد كثيراً ما يتكلمون في المدرسة عن والديهم ومحبتهم ومناغاتهم لهم وعن نصائحهم وارشاداتهم . فكنت اغبطهم وافكر في هذه السعادة التي يتمتعون بها واحرم انا منها فيتألم قلبي ويحزن فؤادي . كنت اعرف ان ما يتحدث به اقراني هو حقيقي ولكن لهم فقط ووهمي ولكنه لي انا وحدي . اما الليلة فقد لمست هذه السعادة بيدي كما مست هي اعماق قلبي من الداخل فما اعظم سروري» . وحركت هذه الكلمات قلب جورج فقبل جاك من جبينه وهمّ بان يكلمه ولكن ماري كانت قد تقدمت من ابيها وتعلقت بعنقه وقبلته وقالت هي الاخرى :

« واني اهنيك يا والدي العزيز بنجاح اخي جاك واشاركه في ما قاله خصوصاً وانك لم تعد تهتم بي ولا تناغيني او تبادلني قبلة »

فعرف جورج ان الكلمات كلماتي وانا التي علمتها للولدين

فناداني وهو فرح مسرور بما سمع واخذ يدي بين يديه وسألني :

— هل تحبيني يا حنة فقلت وهل تشك في ذلك ؟ فقال اذاً اين كنت ليلة ..... فقلت : انت تغار علي يا جورج ؟ فقال ولمَ لا . فقلت اذاً انت تشك في طهارة ذيلي ؟ — فقال بالعكس ولكني احبك والمحب غيور فنظرت اليه بعينين قدندتهما الدموع وقلت له : اذا كنت تغار علي يا جورج لاني خرجت ليلة واحدة فكم يكون حالي وانت تخرج كل ليلة — ثم خنقتني

العبرات فقال لي : لا تبكِ فانا اعاتبك ياحنه ـ فقلت له ولكن انا اريد ان احاسبك . ثم اخذت اصف له حالتنا وما وصلت اليه من جراء اعماله ومضاربته حتى قصيت له جميع ماحدث تلك الليلة المعهودة ولما انتهيت من حسابي قال لي :

ـ هذه يدي اضعها في يدك واعدك وعداً صادقاً ان لا اعود الى القمار مرة أخرى ـ وهزّ يدي بشدة تدل على صدق كلامه وثبات عزيمته

وكان جورج اذا قال فعل واذا أوعد انجز فقمت وقلبي طافح فرحاً ورفعت يده وضغطت عليها بشفتيّ وانا اكاد لا تحملني قدماي من شدة التأثير

فاجلسني الى جانبه وهو معجب باقدامي ومقدرتي ومن ذلك اليوم اعاد التاريخ القديم نفسه فاصبحنا سعيدين مغبوطين بهنائنا وبولدينا

ع . ي . ع .

## نهر النيل السعيد

جاءنا حل اللغز الوارد في العدد الخامس من حضرات المشتركين الموضحة اسمائهم كالآتي :

مدام كامل عباد : بطرس افندي يوسف المحامي بالزيتون
الانسات ايليا ابادير تلميذة باسيوط : نجيه حسن بمدرسة الفتوح بابشان
جليله جرجس عبد المسيح بمصر : سليمه دوس روفائيل بوهاج :
ومفيده امين بطنطا

والادلة على حله ان منبع النيل كان مجهولاً لسنة ١٨٥٨ ولم يعرف